

الدرس الرابع

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده و نستعينه و نستغفره و نتوب إليه ، و نعوذ بالله من شرور أنفسنا و سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له و من يضلل فلا هادي له ، و أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له و أشهد أن محمدا عبده و رسوله صلى الله و سلم عليه و على آله و أصحابه أجمعين .

القارئ : الحمد لله رب العالمين و الصلاة و السلام على أشرف الأنبياء و المرسلين نبينا محمد عليه أفضل الصلاة و أتم التسليم ، قال العلامة السعدي - رحمه الله تعالى و غفر الله له و للشارح و السامعين - في كتابه أصول العقائد الدينية قال : و دخل في ذلك إثبات علوه على خلقه و استوائه على عرشه ، و نزوله كل ليلة إلى سماء الدنيا على الوجه اللائق بجلاله و عظمته .

الشيخ : قال الشيخ - رحمه الله - : و دخل في ذلك ، الإشارة هنا كما سبق البيان أي في توحيد الأسماء والصفات ، قال : و دخل في ذلك إثبات علوه على خلقه و استوائه على عرشه ، و نزوله كل ليلة إلى سماء الدنيا على الوجه اللائق بجلاله و عظمته ، ذكر هنا - رحمه الله تعالى - ثلاث صفات لله عز و جل و هي العلو و الاستواء و النزول و سبق بالأمس الكلام على العلو ، و الاستواء و أيضا الفرق بين العلو و الاستواء و أن العلو صفة ذاتية و الاستواء صفة فعلية خبرية ، و أيضا أن العلو من الصفات التي يمكن أن يُستدل لها بالعقل و أما الاستواء فهو صفة خبرية لا مجال لمعرفتها و العلم بها إلا من خلال النقل ، و ذكر - رحمه الله - صفة النزول و هي صفة ثبتت بالحديث المتواتر عن النبي صلى الله عليه و سلم الذي رواه عنه عليه الصلاة و السلام ما يقرب من الثلاثين صحابيا ، عددهم ابن القيم - رحمه الله تعالى - في كتابه الصواعق المرسلّة فبلغوا ثمانية و عشرين صحابيا كل هؤلاء الصحابة - رضي الله عنهم - رووا حديث النزول عن النبي الكريم صلوات الله و سلامه عليه ، و في ذلك يقول عليه الصلاة و السلام : **(ينزل ربنا كل ليلة إلى سماء الدنيا في ثلث الليل الآخر ، فيقول : من**

يدعوني فأستجيب له ، من يستغفرني فأغفر له ، من يسألني فأعطيه) وهذا الحديث حديث تواتر نقله عن نبينا الكريم عليه الصلاة و السلام و قد نص جماعة من الحفاظ من أئمة الحديث و علماء المسلمين ، و كون الحديث متواتر و تكرر نقله من الصحابة عن النبي عليه الصلاة و السلام بهذا اللفظ **(ينزل ربنا كل ليلة)** و جميع هؤلاء الصحابة الذين رووا الحديث و عدتهم تقرب من الثلاثين كلهم سمعوه من النبي عليه الصلاة و السلام بهذا اللفظ

(ينزل ربنا) أسند النزول و أضافه إلى الله تبارك و تعالى و هذا من أعظم ما يكون في إبطال قول بعض المتأولين المتخربين المتكلفين الذين جهدوا في تعطيل هذه الصفة و عدم إثباتها و زعموا أن الذي ينزل ملك من الملائكة ، أو أمر الله عز و جل أو نحو ذلك من التأويلات الباطلة ، و كما أن قول هؤلاء باطل من حيث الاعتقاد في هذا الباب فإن فيه في الوقت نفسه طعنا في بيان النبي عليه الصلاة و السلام و نصحه لأئمة ، إذا كان الذي ينزل الملك أو الأمر ، و النبي عليه الصلاة و السلام في كل هذه المرات يقول : (ينزل ربنا) الصحابة رضي الله عنهم لا يسمعون من لفظه عليه الصلاة و السلام (ينزل ربنا) يسند النزول و يضيفه إلى الله جل و علا ، ثم يحاول بعض أهل الأهواء متكلفين تعطيل هذه الصفة بصرفها عن ظاهرها و تحريفها عن مدلولها بإدعاء أن الذي ينزل الأمر ، أو الذي ينزل ملك من الملائكة أو نحو ذلك من التأويلات الباطلة ، و أهل العلم ردوا هذا التأويل بوجوه كثيرة من الرد ومن المفيد لطالب العلم أن يعرف شيئا من وجوه رد تلك التأويلات لتكون حصنا له و في الوقت نفسه ليتمكن من رد باطل أهل الباطل ، و يكفي في هذا - أعني رد باطل هؤلاء - حفظ الحديث بألفاظه الواردة الثابتة عن النبي عليه الصلاة و السلام فإنها وحدها كافية في إبطال تأويل هؤلاء وهذه قاعدة مفيدة في باب رد باطل أهل الباطل ، وتحريف أهل التحريف ، و الحديث جاء عن النبي عليه الصلاة والسلام بألفاظ عديدة كلها شاهدة على بطلان تأويل هؤلاء ، من ذلكم ما جاء في الحديث في تمامه أن الله عز و جل يقول : (من يسألني من يدعوني من يستغفري) هذه الكلمة لا يمكن أن يقولها إلا الله جل و علا ، لا يقولها الملك ، فإذا ادعى هؤلاء أن الذي ينزل الملك كيف يصبح الكلام؟ ينزل ملك ربنا كل ليلة إلى سماء الدنيا ثلث الليل الآخر فيقول : من يسألني من يستغفري من يدعوني؟ ! لا يستقيم الكلام ، إذن جعل نفسه شريكا لله تبارك و تعالى ، وهذه مفسدة من مفسدات كثيرة للتأويلات الباطلة ، جاء أيضا في بعض ألفاظ الحديث الثابتة قال : (ينزل ربنا كل ليلة إلى سماء الدنيا فيقول: أنا الملك أنا الملك) لو قيل أن الذي ينزل الملك أيقول الملك : أنا الملك أن الملك ؟! من يسألني ؟ ، أيضا جاء في بعض ألفاظ الحديث الثابتة أن الله عز و جل يقول حين ينزل إلى سماء الدنيا يقول : ((لا أسأل عن عبادي أحدا غيري)) و هي لفظة ثابتة في بعض سياقات الحديث و رواياته (لا أسأل عن عبادي أحدا غيري) وهذا لا يقوله الملك ، هذا كلام لا يقوله إلا الله جل و علا (لا أسأل عن عبادي أحدا غيري) ، و لهذا أورد الإمام عبد الغني المقدسي - رحمه الله - في مصنفه الذي أفرد في الاعتقاد لما ذكر النزول أورد هاتين الروایتين ، رواية (لا أسأل عن عبادي أحدا غيري) و رواية (أنا الملك أنا الملك) ثم عقب ذكره للروایتين ببيان أنهما قاطعتان لتأويل

كل مؤول وتحريف كل محرف ، و هذه فائدة كما قلت جلية جدا في الباب تستفيد من ألفاظ الحديث نفسه رد باطل أهل الباطل ، فإذا قال لك قائل الذي ينزل الملك ، تقول له ثبت في بعض الأحاديث الصحيحة أن الله جل و علا يقول : ((لا أسأل عن عبادي أحد غيري)) فإذا ادعيت أن الذي ينزل الملك ليس الله ، يصبح الكلام ينزل ملك ربنا إلى سماء الدنيا ثلث الليل الآخر و يقول لا أسأل عن عبادي أحدا غيري ، فيظهر ظهورا واضحا بينا بطلان تحريف هؤلاء من خلال ضبط ألفاظ الحديث أحاديث النبي الكريم عليه الصلاة و السلام ، و أيضا ما أشرت إليه آنفا ألا وهو أن هذا اللفظ تكرر عن النبي صلى الله عليه و سلم مرات كثيرة كل ذلك بلفظ (ينزل ربنا) ما من مرة قال (ينزل ملك ربنا) حتى يُحمل المطلق على المقيد مثلا ، في كل المرات يقول (ينزل ربنا إلى سماء الدنيا ثلث الليل الآخر) النزول صفة إلهية ثابتة لله و هي من الصفات الفعلية الاختيارية المتعلقة بالمشيئة ، وبناء على هذا الحديث يقول أهل السنة أن من صفات الله تبارك و تعالى النزول إلى سماء الدنيا كل ليلة في ثلث الليل الآخر ، وهنا ينبغي أن ينتبه المسلم عندما يثبت هذه الصفة لله و غيرها من صفات الله تبارك و تعالى أن يحذر من الأقيسة الباطلة ، قياس الخالق جل و علا بال مخلوق ، فيحاول أن يفهم النزول المضاف إلى الله تبارك و تعالى على ضوء النزول الذي يعرفه من المخلوق فيقع في التشبيه الباطل ، فتثبت الصفة لله جل و علا على الوجه اللائق بجلاله و عظمته ، و لهذا قال الشيخ عبد الرحمن - رحمه الله - هنا : و نزوله كل ليلة إلى سماء الدنيا على الوجه اللائق بجلاله و عظمته ، لا على الوجه الذي نعهده في المخلوق أو الكيفية التي نعرفها في المخلوق ، و إنما على كيفية تليق بجلال الرب و عظمته سبحانه و تعالى ، و كما تقرر فيما سبق أن السؤال عن الاستواء و أيضا غيره من صفات الله تبارك و تعالى بـ (كيف؟) سؤال باطل ، فإن البحث عن كيفية نزول الله تبارك و تعالى بحث باطل ، و الخوض في هذا الأمر خوض باطل ، لا يُقال كيف ينزل ، نقول إن ربنا تبارك و تعالى نزل إلى سماء الدنيا نزولا يليق بجلاله و كماله و عظمته سبحانه ، و أما كيفية هذا النزول لا نعلمها ، أخبرنا نبينا صلى الله عليه و سلم أن ربنا ينزل و لم يخبرنا كيف ينزل ، و لهذا إثباتنا للنزول إثبات وجود ، لا إثبات تكييف ، نحن نثبت هذه الصفة كما أثبتنا أعلم الناس بالله صلوات الله و سلامه عليه ، و نؤمن بها كما جاءت عن رسولنا عليه الصلاة و السلام ، و لا نخوض فيها لا بتحريف و لا بتعطيل و لا بتكييف و لا تمثيل ، بل نمرها كما جاءت و نؤمن بها كما وردت ، و من فوائد حديث النزول العظيمة بيان الارتباط الوثيق بين العقيدة و الشريعة ، بين الاعتقاد و العمل ، و أن صحة الاعتقاد ينبني عليه صلاح العمل و استقامة العمل ، و لهذا ذكر النبي عليه الصلاة و السلام نزول الرب جل و علا في ثلث الليل الآخر في معرض ترغيبه صلى الله عليه و سلم في العناية بالثلث الأخير من الليل دعاء و ذكرا و

استغفارًا و توجَّهًا إلى الله و صلاة ، قال : (**ينزل ربنا كل ليلة إلى سماء الدنيا في ثلث الليل الآخر فيقول : من يسألني ، من يدعوني ، من يستغفريني**) فإذا انقضت العقيدة التي هي إيمانك بنزول الرب تبارك و تعالى في ذلك الوقت المبارك الوقت الذي يُعد أخرى أوقات إجابة الدعاء و أفضلها وهو الثلث الأخير من الليل ، فذكر النبي عليه الصلاة و السلام لهذه العقيدة و هي النزول الإلهي في ذلك الوقت يحرك في قلب الإنسان العناية بهذا الوقت الفاضل دعاء و سؤالًا و استغفارًا و صلاة ، قال تعالى : { **وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ** } قال تعالى : { **وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ** } فهذه العقيدة تحرك فيك عناية واهتمامًا بالعمل ، وهذا له أمثلة كثيرة جدا في السنة الارتباط بين العقيدة و العمل ، مثل قوله عليه الصلاة و السلام : (**إنكم سترون ربكم يوم القيامة كما ترون القمر ليلة البدر لا تضامون في رؤيته**) هذه عقيدة (**فإن استطعتم ألا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس و على صلاة قبل غروبها فافعلوا**) هذا العمل المترتب على الاعتقاد ، أخبر عليه الصلاة و السلام بهذه العقيدة و هي أن الله جل و علا يراه المؤمنون يوم القيامة ثم أخبر عن العمل الذي .. هذه الثمرة العظيمة و هي رؤية الله ألا وهو المحافظة على الصلوات و لا سيما صلاة الفجر و صلاة العصر (**فإن استطعتم ألا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس و على صلاة قبل غروبها فافعلوا**) فهذا كله يبين الارتباط الوثيق بين العقيدة و الشيعة ، أصول الإيمان و العمل ، نظير ذلك في القرآن قول الله عز و جل : { **لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُؤْا وَجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ** } هذه العقيدة ، ثم ختمت الآية بالعمل الذي هو ثمرة الاعتقاد الصحيح { **وَأَتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ** } إلى آخر الآية ، فهذا هو العمل المترتب على صحة الاعتقاد و سلامة الاعتقاد ، إذن من فوائد الإيمان بحديث النزول واعتقاد نزول الرب تبارك و تعالى نزولا يليق بجلاله و كماله في الثلث الأخير من الليل ، من ثمار هذا الاعتقاد تقوية الرغبة في العمل و حسن التوجه إلى الله تبارك و تعالى في هذا الوقت الفاضل الذي هو الثلث الأخير من الليل ، و أيضا في الوقت نفسه ندرك خطورة تأويلات أهل البدع و الأهواء على العمل و العبادة ، أرايتم من خاض في حديث النزول تأويلا و تأوييدا و صرف له عن ظاهره (**ينزل ربنا**) يقول أهل الأهواء لا ينزل النزول لا يليق به هكذا يقولون ، الذي ينزل الملك أو الأمر أو نحو ذلك ، ماذا يحدث من تقرير مثل هذا القول الباطل من حيث الأثر على العبادة و العمل ؟ أهل العلم يقولون عن علماء الكلام : أنهم قطاع طريق لأن هذه التحريفات الباطلة للصفات تقطع الناس في الطريق الذي هم متوجهون إلى الله عز و جل تسوقهم إليه عقيدة صحيحة و إيمان راسخ بالله فيقبلون على العبادة و العمل يحذوهم إيمانهم واعتقادهم

الصحيح ، فإذا غُطلت الصفات و حُرِفَت بأنواع التحريفات قطع على الناس طريقهم في التوجه إلى الله سبحانه و تعالى ، النبي صلى الله عليه و سلم ذكر النزول الإلهي في معرض ترغيب الناس بالمحافظة على العبادة في هذا الوقت ، فإذا جاء متكلف و محرف و عطل هذه الصفة و حرفها عن وجهها ترتب على تعطيله لها إعاقه عن العمل الذي ترتب على الإيمان بهذه الصفة ، و شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله تعالى - له مجلد كبير في شرح هذا الحديث مطبوع بعنوان شرح حديث النزول .

القارئ : قال : و دخل في ذلك إثبات الصفات الذاتية التي لا ينفك عنها كالسمع و البصر و العلم و العلو و نحوها ، و الصفات الفعلية وهي الصفات المتعلقة بمشيئته و قدرته كالكلام و الخلق و الرزق و الرحمة و الاستواء على العرش و النزول إلى السماء الدنيا كما يشاء .

الشيخ : قال - رحمه الله - : و دخل في ذلك إثبات الصفات الذاتية التي لا ينفك عنها كالسمع و البصر و العلم و العلو و نحوها ، و الصفات الفعلية ، ضبط هذه الكلمة تحتل الضبط الموجود و يكون العطف في قوله : والصفات الفعلية على الإثبات دخل في ذلك إثبات الصفات الذاتية و دخل في ذلك الصفات الفعلية و الأولى و الله أعلم أن تُضبط بالخفض عطفاً على الصفات لا على الإثبات ، فيكون الكلام و دخل في ذلك إثبات الصفات الذاتية و الصفات الفعلية ، أي إثبات الصفات الفعلية ، هنا يقرر الشيخ - رحمه الله - أن مما يدخل في توحيد الأسماء و الصفات إثبات الصفات الذاتية لله و إثبات الصفات الفعلية له سبحانه و تعالى ، و ذكر الشيخ - رحمه الله - ضابط كل منهما ، فذكر ضابط الصفات الذاتية بقوله : التي لا ينفك ، بمعنى أنه لم يزل و لا يزال متصفاً بها لا تعلق لها بالمشيئة فهي صفة لا ينفك عنها لم يزل و لا يزال متصفاً بها و لا تعلق لها بالمشيئة ، و ذكر الشيخ على ذلك بعض الأمثلة ، قال : كالسمع و البصر و العلم و العلو و نحوها ، أي كالوجه و اليد و القدم و غيرها من صفات الله تبارك و تعالى فهذه كلها يُقال عنها صفات ذاتية ، لماذا ؟ لأنها صفات لا ينفك عنها أي الرب تبارك و تعالى لم يزل و لا يزال متصفاً بها و ليس لها تعلق بالمشيئة ، و القسم الثاني من الصفات ، قال : الصفات الفعلية وهي الصفات المتعلقة بمشيئته و قدرته ، و هذا ضابط الصفة الفعلية أو الصفة الاختيارية ما كان لها تعلق بالمشيئة و القدرة مثل الكلام و الخلق و الرزق - بفتح الراء - و الرحمة و الاستواء على العرش و النزول إلى السماء الدنيا كما يشاء ، هذه كلها صفات فعلية ؛ لأنها لها تعلق بالمشيئة يرزق من يشاء يرحم من يشاء يخلق ما يشاء استوى على العرش هذا فعل ، ينزل إلى سماء الدنيا هذا فعل ، فهذا النوع من الصفات يُقال عنه صفة فعلية ،

و النوع الأول يُقال عنه صفة ذاتية ، و الصفة الذاتية ضابطها كما تقدم التي لا ينفك عنها أي لم يزل و لا يزال متصف بها و الصفة الفعلية هي المتعلقة بالمشيئة كما في الأمثلة التي ذكرها الشيخ -رحمه الله تعالى - .

القارئ: قال :وأنها جميعها تثبت لله

الشيخ : عفوا-قوله -رحمه الله -كالكلام ،أهل العلم ذكروا في بعض الصفات أن لها تعلق بالصفات الذاتية من جهة و لها تعلق بالصفات الفعلية من جهة أخرى ،لها تعلق بالصفات الذاتية من جهة كون الله تبارك و تعالى لم يزل و لا يزال متصفا بها ،و لها تعلق بالصفات الفعلية من جهة أنها متعلقة بالمشيئة ،و لهذا بعض الصفات قال عنها أهل العلم إنها ذاتية باعتبار فعلية باعتبار ،ومثلوا لذلك بصفة الكلام ،فالكلام صفة ذاتية باعتبار أن الله عز و جل لا ينفك عن هذه الصفة لم يزل و لا يزال متصفا بالكلام ،و من جهة أخرى الكلام صفة فعلية لأنه من الصفات المتعلقة بالمشيئة يتكلم متى شاء بما شاء سبحانه و تعالى تكلم بالتوراة ثم تكلم بالإنجيل ثم تكلم بالقرآن ،فهو عز و جل يتكلم بما شاء متى شاء كلاما يليق بجلاله و كماله و عظمته سبحانه و تعالى ،و لهذا فإن صفة الكلام تعد ذاتية باعتبار وفعلية باعتبار .

القارئ : قال :و أن جميعها تُثبت لله من غير تمثيل و لا تعطيل، و أنها كلها قائمة بذاته و هو موصوف بها ،و أنه تعالى لم يزل و لا يزال يقول و يفعل ، و أنه فعّال لما يريد يتكلم بما شاء إذا شاء كيف يشاء ، لم يزل بالكلام موصوفا ،و بالرحمة و الإحسان معروفا .

الشيخ : قال -رحمه الله - :وأن جميعها تثبت لله من غير تمثيل و لا تعطيل ،وأن جميعها :أي صفات الله جل و علا الذاتية منها و الفعلية ،تثبت لله :أي على الوجه اللائق بجلاله و كماله و عظمته دون تمثيل و دون تعطيل ،تثبت لله على وجه يليق بجلاله من غير تمثيل ،أي من غير تمثيل لصفات الله تبارك و تعالى بصفات خلقه ،قال تعالى : { لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ } قال تعالى : { هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا } أي لا سمي له ،وقال تعالى : { فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ } قال تعالى : { وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ } ،فإذن تُثبت صفات الله لله دون تمثيل أي دون أن يُمثل شيء منها بشيء من صفات المخلوقين ، و دون تعطيل: أي دون نفي لها و التعطيل هو النفي كما سبق بيان ذلك ، فهي تُثبت لله دون تمثيل و دون تعطيل على حد قوله تبارك و تعالى : { لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ } ،قد قال أهل العلم إثبات الله جل و علا للسمع و البصر بعد نفي المثلية دليل على أن إثبات الصفات لله على

الوجه اللائق بجلاله و كماله لا يستلزم تشبيه أو تمثيلا بدليل أن الله عز و جل أثبت لنفسه السمع و البصر بعد نفي المثلية فهذا يدل على أن إثبات الصفات لله على الوجه اللائق بجلاله و كماله سبحانه لا يستلزم التمثيل ، عندما تقول أنا أثبت أن الله ينزل نزولا يليق بجلاله و كماله ، هذا ليس فيه تمثيل ، عندما تقول إن الله عز و جل استوى على العرش حقيقة استواء يليق بجلاله هذا ليس فيه تمثيل ، التمثيل كما قال الإمام أحمد — رحمه الله — قال: الممثل الذي يقول يده كأيدينا سمعه كسمعنا بصره كبصرنا ، و الله يقول : { **لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ** } هذا هو التمثيل التمثيل الذي يجعل صفة الله كصفة المخلوق تعالى ربنا و تقدس عن ذلك و التمثيل كفر بالله ، من يثبت الصفات على وجه التمثيل فهذا كافر بالله تبارك و تعالى و لهذا قال العلماء قديما: الممثل يعبد صنما ، الذي يقول في وصفه لربه — تنزه ربنا و تقدس — الذي يقول في وصفه لربه يده كأيدينا سمعه كسمعنا بصره كبصرنا هذا لا يعبد الله يعبد صنما؛ لأن هذه الصفة بها الوصف الذي ذكر في هذا الممثل ليس صفة الله تبارك و تعالى ، و لهذا قال السلف قديما و منهم نعيم ابن حماد شيخ البخاري قال : الممثل يعبد صنما و المعطل يعبد عدما ، المعطل الذي ينفي الصفات و يجحدها ، من ينفي صفات الله تبارك و تعالى و يجحدها هو في الحقيقة يعبد العدم ، الذي يقول عن ربه أنه ليس بسميع و لا بصير و لا فوق العالم و لا داخله و لا متصل به و لا منفصل عنه و ليس بكذا إلى آخر ما يقولون في كتب أهل الأهواء هذا وصف للرب بالعدم ، ولهذا قال أهل العلم قديما : الممثل يعبد صنما و المعطل يعبد عدما ، ولو قيل لإنسان صف لنا العدم بصفة بليغة ، لا يجد أبلغ من هذه الصفة التي يصف بها المعطلة ربهم ، لا يجد أبلغ منها ؛ لأنهم يقولون الله لا فوق و لا تحت و لا داخل العالم و لا خارجه و متصل به و لا منفصل عنه و ليس بسميع و لا بصير و لا علي إلى آخره هكذا يقولون في كتبهم ، و لا تزال كتبهم التي تقرر هذا الباطل موجودة ، فنهاية هذا التعطيل وصف اله تبارك و تعالى بالعدم ، الإمام ابن عبد البر — رحمه الله تعالى — ذكر عن أحد السلف وهو حماد ابن زيد مثالا جميلا يبين لنا حقيقة تعطيل هؤلاء قال : إن مثل هؤلاء المعطلة كمثّل رجل قال في دارنا نخلة ، قيل لها سعف؟ قال : لا ، قيل له لها ..؟ قال : لا ، قيل لها جذع؟ قال : لا ، قيل لها ..؟ قال : لا ، ذكرت له جميع صفات النخلة قال لا ، قيل له ما في دارك نخلة ، قال هذا مثل يوضح لنا حال هؤلاء المعطلة ، قالوا إن لنا ربا ، قيل لهم صفوه لنا ، قالوا: لا فوق و لا تحت و لا داخل العالم و لا خارجه إلى آخره ، قيل لهم ليس لكم ربا مادام أن هذه صفة الرب عندكم إنما تعبدون العدم هذه صفة العدم ، و لهذا قال بعض السلف : نهاية قول هؤلاء أنه ليس فوق العرش ربا يُعبد و لا إله يُصلى له و يُسجد — تعالى الله عما يقول هؤلاء الظالمون علوا كبيرا — ، فإذا صفات الله تبارك و تعالى تُثبت لله على الوجه

اللائق بجلاله و كماله و يُحذر من التمثيل و يُحذر أيضا من التعطيل على قاعدة أهل السنة في هذا الباب إثبات بلا تمثيل و تنزيه بلا تعطيل .

قال : و أنها :أي الصفات كلها قائمة بذاته و هو موصوف بها ، ، لأن هذا هو الأصل في الصفة أن تكون قائمة بالموصوف، والصفات التي تُضاف إلى الله جل وعلا و تُسند إليه سبحانه و تعالى هي قائمة به سبحانه السمع المضاف إلى الله البصر المضاف إلى الله العلم المضاف إلى الله الرحمة المضافة إلى الله إلى غير ذلك من الصفات هذه صفات قائمة بالله سبحانه و تعالى ، و من لوازم إسناد الصفة إلى الموصوف أن تكون قائمة به هذا أمر متقرر، وقيامها به من لوازم أن تكون ليس قائمة بغيره بل هي صفته الرحمة و السمع و البصر وغيرها من الصفات التي تُضاف إلى الله تبارك و تعالى هذه كلها صفات أضيفت إلى الله فهي قائمة بالله ، قال : وهو موصوف بها سبحانه ، وهو موصوف بها فهي تعد في صفاته وجعلها في صفات غيره باطل من القول ،هذا التقرير الذي يشير إليه الشيخ -رحمه الله - يبين لنا فساد التأويل الذي يتكلفه أهل الأهواء عندما يقولون مثلا في صفة الكلام أن الكلام خلقه الله عز و جل في اللوح المحفوظ مثلا ،هذا يتنافى مع هذا الأصل **{وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ}** أسند الكلام إلى الله عز و جل، ومن لوازم هذا الإسناد إسناد الصفة على الموصوف أن تكون قائمة به ،و إذا كانت قائمة به تعد صفة له لا تُجعل وصف لغيره ،وقول هؤلاء أنه خلقه في اللوح المحفوظ معنى ذلك أن الكلام صفة للوح و ليس صفة لله تبارك و تعالى ،وهذا من تكلف أهل الأهواء و الباطل في نفي هذه الصفة ،و لا يزال هذا الباطل يسري في بعض أهل الضلال حتى في الإجازات التي تُمنح من بعض المقرئين للقرآن تجد في الإسناد في الإقراء لكلام الله يذكر الإسناد عن النبي صلى الله عليه و سلم عن جبريل عن اللوح المحفوظ ،ينتهي الإسناد إلى اللوح المحفوظ و هذا مبني على هذه العقيدة الفاسدة ،بينما في القرآن قال جل و علا : **{ وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ * نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ * عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ }** الإسناد عن جبريل عن الله تبارك و تعالى ،**{ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ }** من الله سبحانه و تعالى ،فهو كلام مضاف إلى الله مسند إليه تبارك و تعالى ،قال :و أنه تعالى لم يزل و لا يزال يقول و يفعل ،لم يزل و لا يزال متصفا بصفاته ،وصفاته قائمة به و علا لم يزل أي في الأزل و لا يزال أي فيما لم يزل متصفا بالصفات كما قال عز و جل **{ هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ }** الأول في الأزل و الآخر فيما لم يزل ، **{ هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ }** موصوف بصفاته ،وصفاته تبارك و تعالى قائمة به ،لم يزل يقول و يفعل متى شاء كيف شاء سبحانه و تعالى .

قال :و أنه فعال لما يريد يتكلم بما شاء متى شاء كيف شاء لم يزل بالكلام موصوفا و بالرحمة و الإحسان معروفا ،هذا الواجب في صفات الله تبارك تعالى أن تُثبت لله على الوجه بجلاله و كماله و اعتقاد أن الله تبارك و تعالى لم يزل و لا يزال متصفاً بصفات الكمال و نعوت الجلال اللائقة بكمالهِ و عظمتهِ سبحانه و تعالى .

القارئ: قال : ودخل في ذلك الإيمان بأن القرآن كلام الله منزل غير مخلوق منه و إليه يعود ،و أنه المتكلم به حقاً ،و أن كلامه لا ينفد و لا يبيد .

الشيخ : قال : ودخل في ذلك ،أي: في توحيد الأسماء و الصفات الإيمان بأن القرآن كلام الله منزل غير مخلوق منه بدأ و إليه يعود ،هذه عقيدة أهل السنة و الجماعة في صفة الكلام ،و أنهم يثبتون الكلام صفة لله على الوجه اللائق بجلال الرب و كماله سبحانه و تعالى ،قال :ودخل في ذلك الإيمان بأن القرآن :القرآن هو كتاب الله عز و جل الذي نزلهُ على رسوله و نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ،و جعله هدى و رحمة و بشرى للعالمين ،فالقرآن كلام الله عز و جل هو الذي تكلم به سبحانه قد مر معنا آية {وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ} وقد كان عليه الصلاة و السلام يعرض نفسه على القبائل يقول لهم من ينصروني حتى أبلغ كلام ربي ؟ فالقرآن كلام الله ، الله عز و جل هو الذي تكلم به و كما قال أئمة السلف أينما توجه القرآن فهو كلام الله سواء حُفِظ في الصدور أو كُتِب في المصاحف أو سُمِع بالأذان أو نُظِر إليه في المصاحف بالأعين ،أينما توجه فهو كلام الله لماذا ؟ لأن الكلام يُضاف على من قاله ابتداء لا لمن نقله أداء ، الكلام يُضاف إلى من قاله ابتداء و لهذا يقول الشيخ منه بدأ أي الله عز و جل هو الذي تكلم به ابتداء و جبريل سمعه من الله ،ونزل به إلى محمد عليه الصلاة و السلام ،و محمد عليه الصلاة و السلام سمعه من جبريل ،و الصحابة سمعه و من النبي صلى الله عليه و سلم و بلغوه من بعدهم ، فكون النبي صلى الله عليه و سلم قرأه و الصحابة قرءوه و سمعوه و تلوه و كُتِب في المصاحف هذا لا يخرجهُ عن كونه كلام الله ، ولهذا قال جل و علا: {وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ} لم يقل حتى يسمع كلام التالى للقرآن ؛لأن الكلام الذي في المصاحف الذي هو كلام الله هو كلامه جل و علا ليس كلام التالى للقرآن بل هو كلام الله منه بدأ هو الذي تكلم به جل و علا فيضاف الكلام إلى من تكلم به ابتداء لا إلى من نقله أداء ،وهذا أمر معروف و متقرر لكل ما يُنقل من الكلام، ف الكلام يضاف إلى من قاله ابتداء لا إلى من نقله أداء ،قال :القرآن كلام الله منزل غير مخلوق ،منزل أي من الله ،قال تعالى: { وَإِنَّهُ لَنَزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ } وإنه :أي القرآن { نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ } فالقرآن منزل أي من

الله عز و جل غير مخلوق ،أي أن إضافته لله سبحانه و تعالى إضافة وصف لا إضافة خلق ،فعندما نقول كلام الله مثل ما نقول سمع الله و بصر الله و رحمة الله و علم الله و مشيئة الله و إرادة الله ،جميع هذه الإضافات إضافة وصف ،فالقرآن كلام الله منزل غير مخلوق و الدلائل على ذلك كثيرة في كتاب الله عز و جل و في سنة النبي عليه الصلاة و السلام ، قد أجمع السلف -رحمهم الله -على ذلك وحكا إجماعهم عليه جل من كتب في الاعتقاد من المتقدمين والمتأخرين ،و نُقلت أقوال السلف في ذلك القرآن كلام الله غير مخلوق، ومن قال مخلوق كافر أي بالله و بكلامه سبحانه و تعالى ،و الإمام ..-رحمه الله - في كتابه شرح الاعتقاد نقل هذا الكلام عن أكثر من خمس مئة نفس من التابعين وأتباع التابعين و أئمة المسلمين قال بأن القرآن كلام الله منزل غير مخلوق منه بدأ و إليه يعود ، منه بدأ أي هو الذي تكلم به ابتداء و إليه يعود أي عندما تُرفع المصاحف و يُرفع كلام الله عز و جل و يصبح الناس و هذا يكون في آخر الزمان ،ولا يكون ثمة شيء من كلامه من القرآن إليه يعود يُرفع الكلام ،و قد دل على ذلك دلائل ،فالقرآن يُرفع و هذا معنى قول السلف -رحمهم الله - وإليه يعود ،أي أنه عندما يُرفع في آخر الزمان و لا يبقى في الصدور و لا في السطور شيء من كلام الله تبارك و تعالى بل يُرفع يصبح الناس و لا يجدون شيء من كلام الله عز و جل الذي كُتب و يُتلى هذا معنى قولهم منه بدأ و إليه يعود ،و أنه المتكلم به حقاً، وأنه أي: الله المتكلم به أي الله حقاً لا غيره سبحانه فالذي تكلم بالقرآن هو الله جل وعلا ،و عندما يعتقد المسلم أن هذا القرآن الموجود في المصاحف هو كلام الله جل و علا فإن هذا يورث ماذا ؟ تعظيماً للقرآن و احتراماً له و معرفة لقدره و شأنه بخلاف الذين يعتقدون أنه مخلوق من المخلوقات، فهذا يورث إهمالا و استهانة و استخفافا بالقرآن وعدم معرفة لقدر القرآن الذي هو كلام الله عز و جل .

قال: و أنه المتكلم به حقاً و أن كلامه لا ينفد ، و أن كلامه أي الله لا ينفد ،وهذا كما سبق قال الشيخ-رحمه الله - لم يزل و لا يزال متكلمًا ،لا ينفد شاهد ذلك قول الله عز و جل : { **قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفَذَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا** } [الكهف : ١٠٩] ،وقال تعالى : { **وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ** } [لقمان : ٢٧] فكلامه سبحانه و تعالى لا ينفد و لا يبيد ،فهنا قرر الشيخ -رحمه الله تعالى - الاعتقاد في كلام الله عز و جل و فيما يتعلق بالقرآن على وجه الخصوص ،و أنه كلام الله عز و جل غير مخلوق

و قل غير مخلوق كلام مليكنا بذلك دان الأتقياء و أفصحوا

كما قال ذلك ابن أبي حاتم في حائيته .

القارئ : قال : و دخل في ذلك الإيمان بأنه قريب مجيب ، وأنه مع ذلك علي أعلى ، و أنه لا منافاة بين كمال علوه و كمال قربه و أنه ليس كمثله شيء في جميع نعوته و صفاته .

الشيخ : قال : و دخل في ذلك الإيمان بأنه قريب مجيب ، قال الله تبارك و تعالى : { وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ .. } ، وقال تعالى : { وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ } [غافر : ٦٠] ،.... الآية الأولى { وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ } فالله تبارك و تعالى قريب أي: من العابدين ، مجيب : أي للداعين ، قريب من عباده جل و علا ، و في الحديث القدسي يقول الله عز و جل : ((ما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه)) ((و لا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه)) و في الحديث الآخر ((من تقرب إلي شبرا تقربت إليه ذراعا)) فالله عز و جل قريب من عباده ، و لا منافاة كما يقول الشيخ - رحمه الله - بين إثبات قربه من عباده و بين علوه سبحانه و تعالى واستوائه على عرشه ، وسبق الإشارة أن الواجب في صفات الله تبارك و تعالى أن تُثبت لله على الوجه اللائق بجلاله و كماله سبحانه و لا يُقاس جل و علا في شيء من صفاته بشيء من مخلوقاته ، ولهذا نحن نعتقد أن الله عز و جل مستوٍ على عرشه استواء يليق بجلاله و كماله و عظمته سبحانه ، و أنه بائن من مخلوقاته ليس في ذاته شيء من مخلوقاته ولا في مخلوقاته شيء من ذاته ، و أيضا نعتقد في الوقت نفسه أنه يقرب سبحانه و تعالى من عباده الطائعين وأهل الإيمان يقرب منهم تبارك و تعالى كيف شاء .

قال : ودخل في ذلك الإيمان بأنه قريب مجيب ، و أنه مع ذلك علي أعلى و لا تنافي بين الأمرين ، قال : وأنه لا منافاة بين كمال علوه و كمال قربه ؛ لأن ذلك كله حق العلو حق ثابت في القرآن و القرب حق ثابت في القرآن و ثابت أيضا في سنة النبي الكريم عليه الصلاة و السلام و لا أحد أعلم بالله من الله و لا أحد أعلم بالله من خلقه من رسول الله صلى الله عليه و سلم ، فكل ذلك حق كل ما أخبر الله سبحانه و تعالى به عن نفسه أو أخبر به عنه رسوله صلى الله عليه و سلم فإنه حق ، فالعلو حق والقرب حق ، الله عز و جل علي أعلى مستوٍ على عرشه بائن من خلقه سبحانه و تعالى وهو يقرب من عباده المؤمنين كيف شاء جل و علا قربًا لا نعلم كيفيته و لا نقيسه بقرب مخلوق من مخلوق ، بل الله عز و جل ليس كمثله شيء ، كما أن له ذاتًا لا تشبه الذوات فله تبارك

وتعالى صفات لا تشبه الصفات ، قال : وأنه لا منافاة بين كمال علوه و كمال قربه لأنه ليس كمثله شيء في جميع نعوته و صفاته، و من مضى في هذا الباب على هذه القاعدة قاعدة نفي الإثبات مع التمثيل ، فإنه يسلم من أباطيل أهل الباطل يثبت لله صفاته بلا تمثيل و ينزه الله تبارك و تعالى عن مشابهة خلقه بلا تعطيل .

القارئ : قال : ولا يتم توحيد الأسماء و الصفات حتى يؤمن بكل ما جاء به الكتاب و السنة من الصفات و الأسماء و الأفعال و أحكامها على وجه يليق بعظمة البارئ ، و يعلم أنه كما أنه لا يماثله أحد في ذاته فلا يماثله أحد في صفاته ، و من ظن أن في بعض العقليات ما يوجب تأويل بعض الصفات على غير معناها المعروف فقد ضل ضلالا بعيدا .

الشيخ : قال -رحمه الله - : ولا يتم توحيد الأسماء و الصفات حتى يؤمن بكل ما جاء به الكتاب و السنة من الصفات و الأسماء و الأفعال و أحكامها على وجه يليق بعظمة البارئ ، هذا فيه تأكيد لما سبق و تقرير لما سبق بيانه ، قد قرر الشيخ -رحمه الله - أركان الإيمان بأسماء الله الثلاثة وهي الإيمان ، والإيمان بالصفات ، و الإيمان بالأفعال و أحكامها ، هذه هي الأركان الثلاثة المتقدمة ، لأن عرفنا أن الأسماء منها أسماء تدل على صفات ذاتية ، ومنها أسماء تدل على صفات فعلية ، فإذا لا يكون مؤمنا بأسماء الله إلا من آمن بالأسماء والصفات والأفعال و أحكامها ، أحكامها مثل ما ذكر الشيخ فيما سبق أي : أحكام الصفات ، مثل السمع حكمه أنه يسمع ، البصر أنه يبصر ، العلم أنه يعلم ، القدرة يقدر ، الرزق يرزق وهكذا ، فلا بد من الإيمان بهذه الأمور : الأسماء الحسنى و الصفات العليا و الأفعال العظيمة و أحكام هذه الصفات سواء الصفات الذاتية مثل السميع البصير أو السمع و البصر ، أو الصفات الفعلية مثل الرزق و الإحياء و الإماتة وغيرها من صفاته تبارك و تعالى ، قال : على وجه يليق بعظمة الرب ، وهذا لا بد أن يكون في جميع الصفات أن تُثبت لله على وجه يليق بعظمة الله لا على ما نعهده في المخلوقات ، وقد قال الأئمة قديما لا يُقاس بخلق تبارك و تعالى ، بل صفات تُثبت له عز و جل على وجه يليق بجلاله و كماله وعظمته .

ثم ذكر قاعدة عظيمة جدًا في هذا الباب قال : و يعلم أنه كما أنه لا يماثله أحد في ذاته فلا يماثله أحد في صفاته ، هذه قاعدة عظيمة جدًا في باب الصفات تقريرًا و ردًا ، تقريرًا للحق و ردًا لباطل أهل الباطل ، أن نعلم أنه تبارك و تعالى كما أن له ذاتًا لا يماثله أحد فيه ذاتًا لا كالدوات ، فإن له تبارك و تعالى صفات لا تشبه الصفات ، ولهذا قال أهل العلم : القول في الصفات كالقول في الذات ، القول في صفات الله كالقول في ذاته ، أي

: كما أنه سبحانه و تعالى له ذات لا تشبه الذوات ، و لا تماثلها الذوات ، فأيضاً القول في الصفات هو نفسه ،
أنا نثبت لله تبارك و تعالى صفات لا تشبه الصفات ، أمثل لك على ذلك بمثال : عندما تثبت الحديث المتقدم
(ينزل ربنا على سماء الدنيا كل ليلة) لو قال لك قائل يلزم من إثبات ذلك أن يكون نزوله كنزولنا ، تقول له :
هل تثبت لله تبارك و تعالى ذاتاً ؟ ماذا سيقول لك ؟ نعم ، تقول له هل يلزم من ذلك أن تكون ذاته كذواتنا ؟
سيقول : لا قطعاً ، قل له القول في الصفات كالقول في الذات ، أي: كما أننا نثبت لله تبارك و تعالى جميعاً ذاتاً
لا كالذوات ، فأيضاً نثبت له تبارك و تعالى صفات لا كالصفات ، فصفات الله تبارك و تعالى المضافة إليه سبحانه
تليق بجلاله و كماله و عظمته كما أنه سبحانه و تعالى له ذات تليق بجلاله و كماله و عظمته لا كالذوات ، هذا
معنى قوله -رحمه الله- و يعلم أنه كما أنه لا يماثله أحد في ذاته فلا يماثله أحد في صفاته.

قال : ومن ظن أن في بعض العقليات ما يوجب تأويل بعض الصفات على غير معناها المعروف فقد ضل ضلالاً
بعيداً، من ظن أن في بعض العقليات: أي ما تتوصل إليه عقول الناس ، من ظن أن بعض العقليات توجب تأويل
بعض الصفات على غير معناها فقد ضل ضلالاً مبيناً ، لماذا؟ لأنه جعل عقله القاصر حاكماً على كلام الله و
كلام رسوله صلى الله عليه و سلم ، و الله تبارك و تعالى يقول : **{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْدِمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ**
وَرَسُولِهِ } و أي تقدم بين يدي الله و رسوله أعظم من هذا أن يثبت الرب لنفسه الصفة ثم يقول قائل من الناس
هذه صفة لا تليق بالله ، أو يثبتها له رسوله عليه الصلاة و السلام فيقول قائل هذه صفة لا تليق بالله العقل
يوجب تأويلها ؟! فيكون بذلك قد جعل العقل القاصر حاكماً على كلام الله و كلام رسوله صلى الله عليه و سلم
، ولهذا قال الشيخ فقد ضل ضلالاً مبيناً ، أي: وقع في ضلال بين واضح حيث جعل عقله القاصر حاكماً على
كلام الله و كلام رسوله صلى الله عليه و سلم ، و الله يقول : **{ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ**
وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولاً } [الإسراء : ٣٦]

والله تعالى أعلم و صلى الله و سلم على عبد الله و رسوله نبينا محمد .